مدخل إلى الأدب المقارن -سنة ثانية ليسانس-.....(د.حميدة سليوة)

المحاضرة رقم 3:

مدارس الأدب المقارن

"المدرسة التاريخية(الفرنسية)":

لا يعد الأدب المقارن علما حديث النشأة نسبيا، إلا أن المنشغلين فيه لا يزالون على خلاف بخصوص أهدافه وآلياته وميادين البحث فيه، فليس من الغريب أن تتعدد المدارس والمناهج التي تختلف ولا تتعارض في بحثها الدءوب عن سبل التلاقي بين الآداب والثقافات.

أولى مدارس الأدب المقارن تاريخا ونشأة هي:**المدرسة الفرنسية**، ويعود إليها فضل وضع الأسس والمبادئ الأساسية للأدب المقارن، وكانت الاتجاه الوحيد والسائد في الدراسات المقارنة خلال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، وهي المحتضنة لميلاد الأدب المقارن في القرن التاسع عشر، وبقيت الاتجاه الوحيد في هذا المجال إلى خمسينيات القرن العشرين، كانت ولا تزال اتجاه عام له أتباع في العديد من الجامعات عبر العلم وليس في فرنسا وحدها.

1-ظروف النشاة:

وجد هذا التوجه في ظروف تاريخية عرفتها فرنسا، هيأت لظهور الأدب المقارن فيها دون غيرها، -وظروف ثقافية غذتها النزعة إلى الانفتاح ونبذ الانعزالية التي دامت في فرنسا مدة طويلة، وهذا ما زاد من اطلاع الفرنسيين –أدباء ودارسين- على الآداب الأخرى والأوروبية خاصة،

- وبالإضافة إلى نشاط عملية الترجمة التي ساهمت في الاطلاع على مختلف الآداب وزيادة الصلات الأدبية بين فرنسا وما جاورها من أمم.

-وظهور الصحف والمجلات التي ساهمت في نشر نصوص لأدباء أجانب، فزادت بذلك العلاقات الأدبية والفكرية التي تربط فرنسا بغيرها من الأمم

-ومن المميز في هذه المدرسة أنها ترعرعت في كنف الدراسات التاريخية والفيلولوجية التي بلغت مداها آنذاك، لهذا سميت "**المدرسة التاريخية**"، فقد اهتمت بادئ الأمر بتاريخ العلاقات الأدبية الدولية كما يقول ماريو فرنسوا غويار[1]، ثم كان:« **النزوع إلى المقارنة في شكل تاريخ أدبي، يسعى إلى تجديد بنياته وأدواته الإجرائية، التي وجدت نفسها أمام زخم تحولات ق19** »[2]، واهتمام الفرنسيين بالتاريخ عميق في ثقافتهم حيث يعود إلى القرن 17، حين بدأ يجمعون تاريخهم ويدونه، وهو ما كان يقوم به رهبان الأديرة، لهذا بقي الأدب المقارن من منظور المدرسة الفرنسية مقرونا على مدى طويل بالتاريخ الأدبي ودراسة العلاقات التاريخية الأدبية .

2- تعريف الأدب المقارن:

حاول الباحثون في مجال الأدب المقارن ومنذ الإعلان عن مولده ضبط تعريف جامع له، وكان من السابقين بول فان تيغم الذي يقول في تعريف:« **الأدب المقارن هو دراسة آثار الآداب المختلفة من ناحية علاقتها ببعض[....]فيجب**

1غويار(ماريو فرنسوا): الأدب المقارن، تر: هنري وغيب، منشورات عويدات، ط2، بيروت باريس1988، ص15

2-علوش(سعيد): مدارس الأدب المقارن، ص 19

أن تشمل علاقات الأدبين: اليوناني واللاتيني أدها بالآخر، ثم تدين به الآداب الحديثة منذ العصور الوسطى للآداب القديمة، ثم العلاقات بين الآداب الحديثة»[1]، وهو يربط الدراسة المقارنة بالآداب المختلفة بشرط أن تترابط ببعضها، ويبدو أنه يقصد بالاختلاف اللغة فهو يعطي مثال بالأدب اليوناني واللاتيني، ثم يضيف أن التأثير يكون من الأدب الأقدم والأسبق تاريخيا كما هي تأثيرات الآداب القديمة في الأدب الحديث.

أما مواطنه جون ماري كاريه فيحاول تقديم تعريف شامل يشرح به آلية المقارنة، يقول:

« الأدب المقارن فرع من التاريخ الأدبي، لأته دراسة العلائق الروحية الدولية، والصلات الو اقعية التي توجد بين بيرون وبوشكين وجوته وكارليل و.....أي بين المنتجات من حيث قيمها الأصلية، ولكنه يعني على الأخص بالتحولات التي تخضع لها كل دولة أو كل مؤلف مستعاراته. ففي الو اقع أن كلمة التأثير معناها غالبا التأويل، فرد الفعل، فالمقاومة، فالمعركة»[2]، وهو تعريف يجعل من الأدب المقارن فرع من تاريخ الأدب بل ومكمل له، ثم يشرح التعريف عناية المقارن بالعلاقات الأدبية بين الآداب المختلفة، والتأثرات المنتقلة من أدب إلى أدب وخصوصية كل أدب في استقبال التأثير، ثم أن التأثير ليس بالضرورة أخد فقط، قد يكون: نقد وتأويل ورد فعل أو معارضة ولا يمكن أن يكون تقليدا.

يعرف **غويار** بدوره الأدب المقارن بقوله:« **تاريخ العلائق الأدبية الدولية[....] فالباحث المقارن يقف عند الحدود اللغوية والقومية ويراقب مبادلات الموضوعات الفكر والكتب، والعواطف بين أدبين أو عدة آداب، ومن ثم فإن منهجه في البحث يجب أن يتطابق مع تباين بحوثه** »[3]، فيربطه على غرار رواد المدرسة الفرنسية أغلبهم بالتاريخ الأدبي، ويجعله تأريخا لعلاقات أدب قومي في تواصله مع آداب أخرى مختلفة لغويا وقوميا، فهو يدرس التأثيرات الوافدة وبصمتها في أدب ما، ويحدد التعريف مجالات المقارنة التي هي: الموضوعات والأفكار والكتب والعواصف بين الآداب والأدباء.

ومن خلال هذه التعاريف المتشابهة أن الأدب المقارن وفق ما نصت عليه مبادئ المدرسة الفرنسية فرع من التاريخ الأدبي، يعني بالعلاقات الدولية بين الآداب المختلفة لغويا على أن يكون الأدب القومي محورا للدراسة، وهو يرصد العلاقات الأكيدة والواقعية، أما مجالات البحث فيه فهي : الموضوعات والأفكار والمؤلفات والمشاعر المتبادلة بين الشعوب.

3-المبادئ:

يعد كتاب غويار المذكور آنفا تلخيصا لأهم أسس ومبادئ وموضوعات المدرسة الفرنسية، ظهر عام 1951، ولم يكن أول كتاب في هذا المجال، لكنه تلخيص لجهود دامت قرابة القرن من الزمن ساهم فيها الدارسين الفرنسيين للأدب المقارن، أمثال بالد نسبرجر وبول فان تيغم وبول هازار وجون ماري كاريه، حيث بفضلهم تأسس الوعي المنهجي المقارن، حيث اتفقوا على موضوع الأدب المقارن الأساس هو "دراسة التأثير والتأثر بين الآداب المختلفة اللغات"، فالباحث بهذا ملزم بتتبع حركة المبادلات الأدبية بين الشعوب، وعملية انتقال الموضوعات والأفكار والتيارات والمشاعر والكتابات وحتى الأجناس خارج حدود الأدب القومي، كانتقال حركة الشعر الحر من الثقافة الغربية إلى الثقافة العربية.

1-تيغم(بول فان): الأدب المقارن، تر:الدروبي(سامي)، دار الفكر العربي القاهرة مصر، ص 52.
2- غويار(ماريو فرنسوا): الأدب المقارن، ص 15
3-غويار(ماريو فرنسوا): الأدب المقارن، تر:زغيب(هنري)، منشورات عويدات بيروت باريس، ط2، 1988، ص15.

-التأثير والتأثر: دراسة مواطن التلاقي بين الآداب المختلفة دراسة تاريخية، لهذا لا تدخل في مجال المقارنة دراسات التشابه والتقارب، ولا يقيم الأدب المقارن موازنات بين أدباء في اللغة الواحدة لأنها لأن التأثير المقصود هو تأثير الأدب الأجنبي.

-دراسة التأثير لا تعنى بظواهر المحاكاة والتقليد، ولا تعني علاقة التأثر إعجابا وانبهارا فقط قد تكون رد فعل أو معارضة أو تأويل أو نقدا، ولا ينتظر من الكاتب المتأثر أن يعيد ما أخده عن الأدب المؤثر كلمة كلمة، بل لابد من بصمته الخاص التي تنسب إلى أدبه الوطني، كما لا يعني الباحث المقارنة بظواهر التشابه والتوازي.

-المقارنة تعنى بالأدب بأجناسه وقوالبه المختلفة فلم يثبت عند رواد المدرسة الفرنسية أنهم قارنوا الأدب بوسائل تعبير أخرى كالفن والثقافة.

الأدب المقارن متمم ضروري لتاريخ الأدب وهو فرع منه، فموضوعه الأساسي التأريخ لعلاقات الآداب القومية بآداب مختلفة، ومواطن الالتقاء والتأثير والتأثر.

-اشتراط إثبات الروابط التاريخية بين الآداب المختلفة،كشرط لإجراء المقارنة، لهذا لابد من صلات تاريخية أكيدة تثبت تأثر أحد الآداب بالأخر، لهذا على الباحث رصدها مؤكدا على الظروف المحيطة بالعمل الأدبي والمؤدية إلى الاتصال وحدوث التأثير، كالسيرة الذاتية للأديب ونشأته ورحلاته ومسيرته العلمية التي تجعله يتأثر بأدباء معينين أو أدب ما.

-اختلاف اللغة شرط أساسي في إجراء المقارنة، فلا تجوز مقارنة الأدب القومي، بآداب تكتب بلغته القومية نفسها كالأدب الجزائري والتونسي مثلا أو حتى البجليكي والفرنسي، فهذا يدخل ضمن ما يسمى بالموازنة.

- التمركز على الأدب المؤثر واعتبار عملية التأثير معيار تفوق، في حين التأثر عملية سلبية وبالتالي دراسة نتيجة التأثير على مستوى الأدب المتأثر.

-تتخذ عملية المقارنة من الأدب القومي محورا لإجراء دراسات تتأكد من خلالها من علاقات التأثير والتأثر التي يقيمها مع آداب مختلفة عنه، فالمقارن الفرنسي يركز على الأدب الفرنسي والمقارن العربي يتخذ من أدبه محور الدراسة.

4- مجالات البحث المقارن في المدرسة الفرنسية:

4-1-الموضوعات:

ظهرت دراسة الموضوعات بداية الأمر عند الألمان بداية القرن العشرين، من خلال مجلة ماكس كوخ ومجلة تاريخ الآداب المقارن، ومجموعة دراسات مقارنة في تاريخ الأدب[1]، قبل أن يتبناها الأدب المقارن في فرنسا، في رحلة تجديدية للوسائل المتعلقة به، وكانت دراسة الموضوعات من التطورات التي عرفتها الأدب المقارن، جعلته يستفيد من المناهج الجديدة، وتقربه من الأدب العام؛ الذي عني بالموضوعات المشتركة والمتشابهة بين الآداب. فهذا بول هازار:« **صرف المقارنين عن دراسة الموضوعات لأنه يرى فيها مجرد المادة الأدبية التي تكتسب قيمتها بفضل الأجناس والشكل والأسلوب**»[2]، ورغم أن علم الموضوعات خرج من عباءة الأدب المقارن، وكان في فترة من الفترات ضرورة منهجية خرج بها

[1]-برونيل(بيير): ما الأدب المقارن؟ ص 195.
[2]- المرجع نفسه، ص 195.

الأدب المقارن في فرنسا فاهتموا بدراسة الموضوعات موضوعات شخصية وموضوعات السياسية والاجتماعية والأدبية والفنية والموضوعات الخالدة بالإضافة إلى النماذج الإنسانية.

4-2-الأفكار:

وهي من الموضوعات الرائجة في الأدب المقارن بداية القرن 20، كما ورد في كتاب فان تيغم عام 1931، ويقصد بها الأفكار الفلسفية أو الدينية والجمالية والعلمية وكذلك الأفكار الأدبية:« **كالمذاهب، والمدارس، والاتجاهات، والحركات التي سماها الأدباء أنفسهم وعرضوها وناقشوها»**[1]، ولان الأفكار تولد في أدب ما وبعدها تنتقل بحركية التأثير والتأثر إلى آداب أخرى، فهي من المبادلات الأدبية الدولية.

4-3-الصور:

يستجوب مقارنة صورة شعبٍ في أدب شعبٍ آخر، أو صورة شعبٍ في أعمال أديب، باستدعاء موطنين ولغتين مختلفتين حتى تتحقق المقارنة بين " **الأنا** " و"**الأخر**"، كما يدخل في تشكيل الصورة عدةّ مكوّنات يستطيع القارئ أو الملتقي، والصورة في الحقيقة ليس أكثر من مشاعر شعب ما عن شعب آخر انطبعت في أدبه الوطني كقولنا صورة الفرنسي في الأدب الجزائري، فهي انعكاس لمشاعر شعب من خلال أدبه.

4-4-الشخصيات:

وهي الصورة متكاملة عن نموذج إنساني متجسدة في شخصية أدبية، ولا تدرس الشخصية الأدبية إلا أذا تجاوزت موطنها الأول وسافرت إلى بلدان جديدة وآداب مختلفة، كقولنا شخصية البخيل بين الأدب العربي والفرنسي.

4-5-دراسة المصادر:

ويقصد بها المصادر الأجنبية في أدب كاتب قومي، أي العودة إلى الأصول من خلال الأدب المتأثر كقولنا المصادر الانجليزية في أدب عبد الرحمان شكري، وقد قسمها غنيمي هلال: انطباع الكاتب عما رآه في أسفاره ك«**تأثر فلوبير بمناظر مصر في أدبه خاصة في قصته مدام بوفاري»**[2]، ثم ما ينتج عن مخالطة النوادي والبيئات التي تعنى بالثقافات الأجنبية أو مصادر مكتوبة[3].

5- **أهم أعلامها:**

الجيل الأول: بول هازار صاحب أزمة الضمير الأوروبي، فان تيغم: صاحب كتاب الأدب المقارن"، فردينالد بالدينسينرج صاحب "ببليوغرافيا الأدب المقارن"، وهم من مهدوا الطريق لمن جاء بعدهم بوضعهم المبادى والأسس التي توارثها الجيل الثاني والثالث.

الجيل الثاني: مارسيل باطايون، وجان ماري كاريه، جاك فوازين، رونيه اتيامل ماريوس لفرانسوا غويار، ويحسب لهم ما تركوه من « تأليف الكتب التعليمية الجامعية»[4]، فقد زاد التأليف في مجال الأدب المقال ونشطت مجلة"الأدب المقارن"

1- المرجع نفسه، ص 147.
2- غنيمي هلال(محمد): الأدب المقارن، ص 346.
3-المرجع السابق، ص 346.
4- علوش (سعيد): مدارس الادب المقارن، ص 56.

الجيل الثالث: كلود بيشوا، سيمون لوجون، دانيال هنري باجو، وبفضلهم «أصبح كيانا قائما»[1]، تنوعت الآليات والمناهج وتطورت، وتوسعت المجالات.

1-علوش (سعيد): مدارس الادب المقارن، ص 56